عفريت
العجوز
للكاتب مايكل يوسف سلوانس

بيانات القصة

اسم القصة :

عفريت العجوز

اسم الكاتب :

أ. مايكل يوسف سلوانس

تصميم الغلاف :

أ. عبد الخالق شيش

مراجعة لغوية :

د. أحمد السيد عمار

لم أكن يوماً أعتقد بظاهرة الأشباح والعفاريت ، فى أحد الأيام كنت جالساً أمام التليفاز ،فعرض على الشاشة فيلم مصري قديم بعنوان (عفريتة إسماعيل يس) ، ولأول مرة كنت أشاهده، لقد استرعى انتباهي حقاً ، كان يجلس بجوارى أبى رحمه الله .....

بعد الانتهاء من مشاهدة الفيلم ، نظرت له وسألته قائلاً : هل حقاً يوجد عفاريت يا أبى ؟ أم إنها خرافة ؟

نظر لى أبى نظرة عميقة ، وكأنه يحاول أن يستعيد شيئاً من ذكريات الماضي السحيق ، ثم حكى لى قصة عفريت العجوز ، ولولا أنها حدثت معه بالفعل ، لم أكن بالطبع سأصدقها .....

كانت هناك سيدة عجوز، بشرتها قمحية ، قصيرة القامة ، نحيفة البدن ، ترتدي عباءة ممزقة رثة ذات لون أسود ، حيث كانت ضيقة الرزق ، تقيم بمفردها بشارع بالقرب منا ، كان مسكنها بسيط جداً عبارة عن عشة مصنوعة من خشب ، هكذا كنا نشاهده .....

لم يكن لها عمل سوى التسول كل يوم لتستطيع الإنفاق على معيشتها ، الجميع كانوا يعطفون عليها كباراً وصغاراً ، خصوصاً إنها أرملة ، حيث كانت تجلس على رصيف الشارع . باسطة يديها حتى يلقوا فيها النقود القليلة ....

فى سبعينيات القرن الماضي كانت تطهو الطعام على بابور الجاز **(Vapeur)** ، فلم يكن وقتها البوتاجاز قد انتشر مثل هذا الزمان ، وإذا كان موجوداً فهو فقط للأغنياء ، وليس لهذه الفقيرة العجوز .....

وبينما هى واقفة وقت الظهيرة تراقب الطعام عن كثب ، فجأة .....!

سمع الأهالي سكان المنطقة صوت انفجار عالٍ جداً ، ورأوا عشتها الخشب فى بداية احتراقها ، وبعد حوالى دقيقتين فقط ، وصلت النار لأعالي السماء ، حيث نشبت النيران فى جميع مسكنها الخشبي وفيها أيضاً ...!

للأسف لم يستطيعوا إنقاذها ، فعندما كانوا يسكبون الماء على الحريق كان يشتعل أكثر فأكثر . وكأنهم يسكبون بنزيناً وليس ماء .....!

حقيقة لم أسمع فى حياتى ، بحريق هائل مثل هذا ...!

وقتها كنت فى عملى بالمصنع ، وعندما عدت رأيت عشتها المتفحمة ، سألت الجيران عنها ، فأعلموني بالحادثة .

أغلب تفسير فى هذه الواقعة ، أن البابور قد سكب منه بعض الجاز ، وذلك أثناء استعمالها للمقبس الذى يوجد به ، ولم تلاحظ المسكينة ذلك ....

مع ارتفاع درجة الحرارة المنبعثة منه ، أدى ذلك لاشتعال الجاز ، مما جعله ينفجر كالقنبلة الموقوتة ...

عندما أنفجر البابور نشب الحريق فى عشتها ...

حاولت الهروب بسرعة ، إلا أن انتشار النار كان أسرع منها ، خصوصاً إن العجوز كانت تعانى من مشاكل فى العظام والقدمين ، مما جعل حركتها بطيئة ، فلم تستطع أن تنجو .....

ماتت فور وصول رجال المطافئ ، أخرجوها فى لحظاتها الأخيرة ، حيث احترقت عباءتها ، وكذلك النصف الأيسر من وجهها كان قد تشوه تماماً ....

لم تتفوه بكلمة واحدة ، بل اكتفت بنظرتها إلى السماء ، ثم أسلمت روحها بسلام . ماتت عند أول الشارع الذى كانت تقيم به .

دفنت فى إحدى المقابر الخيرية ، ولم نستطع أن نخبر أحداً من أهلها ، لأننا لم نعرف لها أهلاً أصلاً ....!

جاءت الشرطة تحقق فى الحادث ، قيد المحضر قضاء وقدر ، وبما إنها كانت شحاذة فلم يهتم أحد بها.

أقفل المحضر على هذا ، خصوصاً أن حوادث البابور كانت منتشرة كثيراً فى هذه الأيام . فكثيراً ما تعرضت النساء لحروق فى أجسادهن ووجوههن ....

بعد حوالى ثلاثة أيام من هذا الحادث المروع ، بينما كنت أسير فى الظلام قبل الفجر بقليل ، حيث كنت ذاهباً إلى عملى فى أحد المصانع الخاصة بصناعة الملابس ، وجدت العجوز جالسة على الرصيف فى أول الشارع ، كانت تستعطى شيئاً ....!

إلا إنه كان هناك فارق بسيط ، وهو إنها كانت مرتدية قماشة كبيرة ، سوداء على رأسها مثل إيشارب ، بحيث كانت مغطية وجهها ....

تعجبت جداً من هول ما رأيت ، ولكنني لم أخبر أحداً بهذا ، قلت : ربما يكون خيالاً ليس إلا ، خصوصاً إنها كانت تجلس فى ذلك المكان ، بل وماتت فيه أيضاً ...!

فى اليوم التالي بينما كنت أتسوق من دكان فى منطقتنا ، سمعت أحد الأشخاص يتحدث مع البائع عن الشحاذة العجوز ، وأنه رآها ليلة أمس ، ولم يكن يعلم بموتها ، لأنه كان مسافراً منذ فترة ، وقد عاد ليلة أمس ورآها . حيث تعجب منها جداً وقال فى نفسه : يا لجرأة هذه العجوز ، كيف تستعطى فى هذا الوقت المبكر من الصباح ....؟!

وبينما هو يقترب منها ليسألها عن سبب جلوسها فى هذا التوقيت ، شعر بخوف عظيم ينتابه ، وبدأت أعصابه ترتجف ، وقلبه ينبض بسرعة ، و كأنه يجري في طريق طويل ، شعر بأن هناك قوة خفية تطارده .....

اندهش البائع جداً وسأله : كيف رأيتها ليلة البارحة يا أدهم ، وهى ماتت منذ عدة أيام ؟!

بدأ أدهم يقسم له أنه قد شاهدها ، فابتسم ذلك الأخير قائلاً : ربما ذلك من تأثير الحشيش عليك ، حتى خيل لك هذا ..!

ولكن يبقى سؤال هنا : إذا كان ذلك الرجل يستعطى الحشيش ، فماذا عنى أنا ؟ الذى لم أشرب فى حياتى سيجارة واحدة ؟!

فى اليوم التالي وجدتها أيضاً بنفس هيئتها جالسة على الرصيف ، فكرت بالاقتراب منها لأتأكد ، من حقيقة أمرها بنفسي ، ولما اقتربت منها أكثر تسمرت قدماي مكانهما ، وبعدها يداي أيضاً ، فلما رأيت هذا ذكرت اسم الله الأعظم عدة مرات ، وبعد لحظات قليلة ، بدأت فى سماع أصوات آذان الفجر، تنطلق من الجوامع القريبة منا ، وهنا اختفت هذه العجوز من أمامي ، وكأنها تلاشت مثل البخار ، وعادت يداي وقدماي إلى الحركة مرة أخرى ، فشكرت الله الذى لم يتركني وحماني منها ....

من ذلك اليوم أصبحت أعبر الشارع دون أن التفت لها ، مردداً فى سري اسم الله الأعظم .

سمعت من أهالي المنطقة ، أن هذا العفريت يظهر كل يوم ، من بعد منتصف الليل وحتى آذان الفجر . فبمجرد سماعه لصوت الآذان يتلاشى ، لأنه لا يطيق ذكر اسم الله القدوس .....

استمر حال ظهور العفريت لسنوات عديدة ، إلا إنه مع التقدم و التطور التكنولوجي فى الحياة ، جعل ظهوره يضمحل رويداً رويداً حتى اختفى نهائياً عن المكان ، وذلك بدخول الكهرباء منطقتنا ، حيث أنارت أعمدتها ذلك الشارع .

ومن بعدها لم يره أحد مرة أخرى وكأن شيئاً لم يكن .....

وهنا خطر على ذهني سؤال : كيف يظهر عفريت للإنسان الذى قد مات ، أليست الروح عند خالقها ؟

أجابني أبى قائلاً : عليك أن تعلم : إن الروح شيء والعفريت شىء آخر ، يري البعض أن لكل إنسان منا على وجه الأرض قريناً له من الجان ، وعندما يموت الشخص يتحرر هذا القرين ، بل ويمكنه الظهور بشكل هيئة الإنسان الذى قد توفي ، ربما يظهر للانتقام ، ربما يظهر لترهيب الناس ، ولكن الشيء المشترك بين جميع ما سمعناه عن موضوع العفاريت هذا ، أن الإنسان الذى لا يموت ميتة طبيعية ، قد يظهر له عفريت فى مكان موته أو بالقرب منه ، كأن ينتحر أو ُيقتل ، أو يموت بحادث مروع مثل صاحبة هذه القصة ، وكأن العفريت يظهر لنا معلناً غضبه على كل من حوله .....!

والعجيب فى الأمر أن هذا العفريت لا يظهر إلا بمشاهدات فردية فقط ، كأن يسير إنسان فى الشارع بمفرده ، أما إذا كان يسير اثنان مثلا فلا يستطيع الظهور لهما . وحتى الآن لم يجد العلم تفسيراً منطقياً لحدوث هذه الظاهرة الغريبة ....

الله قادر أن يحفظنا من كل شر ومن كل قوى الظلام الخفية . آمين .